قوائم المحتويات متاحة على المجلات الاكاديمية العراقية

مجلة البحوث والدراسات الاسلامية

الصفحة الرئيسية للمجلة: https://djisrs.dws.gov.iq

الخطاب التواصلي التوجيهي في ديوان كعب بن مالك الأنصاري

Directive Communicative Discourse in the Diwan of Ka'b ibn Malik

مها حسين محمد*

أ.م.د. ميسون محمد عبدالواحد**

جامعة الموصل / كلية التربية للبنات / قسم اللغة العربية

Keywords:

discourse, communicative, directive, pragmatics, Ka'b Ibn Malik al-Ansari

Abstract

This study, entitled "The Directive Communicative Discourse in the Diwan of Ka'b ibn Malik al-Ansari," examines the mechanisms of directing poetic discourse to influence the recipient within the communicative process, as an act of guidance aimed at instructing the recipient and rectifying their behavior. The study adopts an analysis of the directive strategy employed by the poet in influencing the behavior of the addressee, in order to achieve his aims of reform, guidance, and protecting the recipient from harm. The research pays particular attention to the linguistic means that contribute to embodying this directive function, most notably the imperative verb as a tool of direction, direct request, obligation, and exhortation; prohibition, which performs the function of warning, prevention, and alerting; as well as interrogation, which assumes an indirect function that goes beyond its literal meaning by attracting attention and stimulating the recipient's thinking. Vocative forms are employed to summon the recipient and bring them into the framework of directive discourse, while warning Is used to alert them to potential consequences and risks. The study adopts the descriptive-analytical method to reveal the semantic and pragmatic dimensions of these tools.

The study concludes that directive discourse contributes to the effective employment of tools that influence the guidance of the recipient, enhancing the sender's ability to persuade and affect the addressee, and achieving directive, reformative, persuasive, and instructive purposes within an effective communicative context.

* **Maha Hussein Muhammad**

****Dr. Maysoon Mohammed Abdul Wahid**

معلومات المقال

تاريخ المقال:

الإرسال:

المراجعة:

القبول: ٢٠٢٦/٦/١

الكلمات المفتاحية:

الخطاب، التواصلي، التوجيه، التداولية، كعب بن مالك الأنصاري.

الملخص

ناقش هذا البحث المعنون بـــ " الخطاب التواصلي التوجيهي في ديوان كعب بن مالـــك الأنصاري " آليات توجيه الخطاب الشعري للتأثير في المتلقي داخل العملية التواصلية، بصـــفتها فعلاً توجيهاً هدفه إرشاد المتلقي وتقويم سلوكه. وعمـــد البحـــث علـــى تحليـــل الاســـتراتيجية التوجيهية التي اعتمدها الشاعر في التأثير في سلوك المرسل إليه، ليحقـــق أهدافـــه للإصـــلاح والإرشاد وإبعاده عن الضرر.

وقد أولى البحث عناية بأبرز الوسائل اللغوية التي أسهمت في تجســـيد هـــذا التوجيـــه، أبرزها فعل الأمر بصفته أداة للتوجيه والطلب المباشر والإلزام والحـــث، والنهـــي الـــذي أدى وظيفة التحذير والمنع والتنبيه، فضلاً عن الاستفهام الذي أدى وظيفة غيـــر مباشـــرة تجـــاوزت المعنى الحقيقي عبر إثارة الإنتباه وتحفيز التفكير لدى المتلقي، واســـتدعى النـــداء لاستحضـــار المتلقي ولإدخاله في إطار الخطاب التوجيهي، أما التحذير فكان هدفـــه التنبيـــه مـــن العواقـــب والمخاطر المحتملة، وقد اعتمد المنهج الوصفي التحليلي للكشف عن الأبعاد الدلالية والتداوليـــة لهذه الأدوات.

وخلص هذا البحث أن الخطاب التوجيهي أسهم في توظيف أدوات أثرت فـــي توجيـــه المتلقي ، وتعزيز قدرة المرسل في إقناع المتلقـــي والتـــأثير فيـــه، وحقـــق مقاصـــد توجيهيـــة واصلاحية وإقناعيه إرشادية ضمن سياق تواصلي فعال.

١.المقدمة

يُعنى هذا البحث بدراسة الخطاب التواصل في ديوان كعب بن مالك الأنصاري وقف منظور تداولي أسلوبي، مع التركيز على آليات بناء التفاعل والتقارب بين المرسل و المرسل إليه داخل بنية الشعري، وتمثلت هذه الاستراتيجية بأنماط لغوية متعددة أبرزها: الأمر، والنهي، والاستفهام، والنداء، والتحذير، التي أسهمت في توجيه المتلقي والتأثير فيه.

وقد استهل البحث بمدخل نظري تناول مفهوم التوجيه في ضوء التداولية، مع الإشارة إلى جذورها في التراث البلاغي، ودورها في تحقيق الأثر التوجيهي والإقناعي، ثم يأتي إلى التطبيق من خلال تحليل نماذج مختارة من ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ليكشف عن آليات توظيف الأساليب اللغوية داخل النص.

وبينت الدراسة أنه وظف الأمر بصفته أداة للإرشاد والإلزام، والنهي كان في تقييد السلوك تقويمه، والاستفهام في إثارة الإنتباه، والنداء لاستحضار المتلقي تعزيز حضوره، أما التحذير فأدى وظيفة تنبيهية أسهمت في توجيه المتلقي، بما عكس تنوع الوظائف التداولية لهذه الصيغ.

وخلص البحث إلى أن تضافر هذه الأساليب أدى لبناء خطاب شعري موجه، اتسم بفاعلية تواصلية عالية، والقدرة على التأثير والاقناع، وعكس وعياً تداولياً تناسب مع السياق الديني والاجتماعي للنص.

أولاً: مدخل نظري إلى مفهوم الخطاب التوجيهي

١ــ مفهوم التوجيه لغةً واصطلاحاً:

الاستراتيجية التوجيهية: هي التي يرغب المرسل بها تقديم توجيهات ونصائح، وأوامر ونواه يفترض أنها لمصلحة المرسل إليه والتوجيه هنا يُعد فعلا لغويا، فإنّه وظيفة من وظائف اللغة التي تعنى بالعلاقات الشخصية إذ إن اللغة تحمل على أنها تعبير عن سلوك المرسل، وتأثيره في توجهات المرسل إليه، وسلوكه (مقبول، ٢٠١٤م، ٥٤٩).عند ما يلجأ المرسل إلى استعمال هذه الاستراتيجية فهو لا يقدم كلاما إنما يمارس فعلاً لغوياً يوجهه للمرسل إليه يكشف من خلاله الحرص على المرسل إليه،ورغبته في التأثير على سلوكه وتوجهاته. والغرض الإنجازي للتوجيهات هو " محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء معين، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات وشرط الإخلاص فيها يتمثل في الرغبة الصادقة ويدخل في هذا الصنف الأمر، والاستعطاف، والتشجيع"(نحلة، ٢٠٠٢،٤٠، ٤٩ــــ ٥٠). وإن الغرض من هذه الأفعال هي توجيه المتلقي للقيام بفعل ما،ويكون لدى المتكلم رغبة صادقة بتوجيه للمتلقي النصح والإرشاد وتوعية والتشجيع. ويتشعب الغرض الإنجازي إلى أغراض إنجازية فرعية تعكس اختلافا في القوى الإنجازية، بين غرض فرعي وآخر وفقا للمقصد، والسياق (العبد، ٢٠٠٥،٢٩٠). تعد الإستراتيجية التوجيهية من الإستراتيجيات المباشرة، إذ يتتطابق فيها قصد المرسل مع دلالة الخطاب الحرفي، و يهتم المرسل فيها بتبليغ قصده، وتحقيق هدف خطابه وهو توجيه المتلقي إلى ما يعود عليه بالنفع، أو يبعد عنه الضرر (الشهري، ٢٠١٥، ٣٢٢) . والتوجيه يعد من جانب ممارسة لغوية، ومن جهة أخرى وظيفة

لغوية، لذلك يسمي (ياكبسون) وظيفة التوجيه في اللغة بالوظيفة الاعازية أو الندائية، ويرى الشهري أن التوجيه:" يعد ضغطاً وتدخلاً ولو بدرجات متفاوتة على المرسل إليه، وتوجيهه لفعل مستقبلي معين"(الشهري، ٢٠١٥، ٣٢٢) . وتتسم الإستراتيجية التوجيهية "بالوضوح في التعبير عن قصد المتكلم... فإن من مميزات التوجيه الصريح أنه لا يستلزم أكثر من قصد للخطاب. ومن ثم، فإن الخطاب لا يدع للمخاطب فرصة التأويل أو التملص من مضمونه"(الشهري، ٢٠١٥، ٣٢٧). ويتوزع الغرض الإنجازي إلى أغراض إنجازية فرعية تعكس اختلافا في القوى الإنجازية، بين غرض فرعي وآخر وفقا للمقصد، والسياق (الشهري، ٢٠١٥، ٢٩٠).

ولا يخفى ارتباط مقصد المتكلم بالسياق إذ يوضح ما يفعله المتكلم على نحو أفضل، أي إن كان يريد بمنطوقه التهديد أو التحذير، أو نحوهما، فضلا على الابتعاد عن المرونة في هكذا خطابات الأسبقية التوجيه (الشهري، ٢٠١٥، ٢٩٠). وإن التأكيد على مفهوم (السلطة لإداء مثل هذه الاستراتيجية؛ نابع من أن المتكلم ينبغي أن يكون في موقع السلطة حتى يُصبح منطوقه طلبا حقيقيا (الشهري، ٢٠١٥، ٢٩٠). والسلطة – بحسب ميشيل فوكو – هي علاقة قوى (فوكو، ١٩٩٤، ٦٣). وتستلزم السلطة أمرًا، وآمرًا، ومأمورًا عليه واجب الطاعة للآمر بتنفيذ الأمر الموجه إليه (فوكو، ١٩٩٤، ٧). ونلحظ في سياق تداولي آخر أن الفعل التوجيهي يندرج تحت الوظيفة الافهامية للغة، كما ذهب إلى ذلك أوكان الذي تناول جملة من الأساليب التوجيهية ورأى أن هذه الوظيفة ترتكز "حول الآخر الذي يتلقى الخطاب وبواسطتها – الوظيفة – تأخذ الرسالة قيمتها التداولية كما يتلى ذلك في النداء أو الأمر أو الاستفهام" (أوكان، ٢٠١١، ٥٠). بالإضافة إلى ذلك، يلزم المتلقي بفهم الرسالة التوجيهية، ثم التفاعل والاستجابة مع مضمونها، ومن خلال تفاعل المتلقي مع الرسالة تتضح فاعلية الخطاب.

وتمتاز هذه الإستراتيجية بالوضوح في التعبير عن قصد المرسل لأن وضوح القصد سبب في عدم حيرة المرسل إليه، مما يضمن تحقيق هدف المرسل بنوعية الكلي والنفعي. .... ولن يستطيع المرسل إليه بلا شك أن يحقق الهدف الذي ينشده المرسل إذا كان الخطاب غامضاً أو يحتمل أكثر من تأويل بل قد ينطوي على نتائج وخيمة إذا لم يفعل المرسل إليه مضمون التوجيه المقصود وعليه، فإن من مميزات التوجيه الصريح أنه لا يستلزم أكثر من قصد للخطاب ومن ثم فإنه لا يدع للمتلقي فرصة التأويل أو التملص من مضمون الرسالة. (الشهري، ٢٠١٥، ٣٢٧) ويمكن الإشارة إلى الدوافع التي تبرر استعمال الخطاب التوجيهي أو مسوغاته السياقية، والتي تتمثل في طبيعة السلطة بين المرسل والمرسل إليه، بحكم كون المرسل أعلى سلطة من المتلقي في المقام الخطابي، وهذا ما يستلزم استعمال الخطاب التوجيهي، وأن ينجز منفعة سواء للمرسل أو المتلقي (الشهري، ٢٠١٥، ٣٢٩)، وقد يحدث في بعض الأحيان أن يتساوى الطرفان في الدرجة أو المنزلة أو قد يكون في بعض الحالات – أعلى منه سلطة وحسب ما يمليه السياق التداولي على المتلقي ضمن عملية التلقي واستمرار التواصل والتفاعل بينهما .

يمتلك الخطاب التوجيهي جملة من الآليات اللغوية التي يتعين على المرسل/ الشاعر توظيفها وفق قدرته

اللغوية والاسلوبية لضمان تحقيق أثر تداولي فاعل بينه وبين المخاطَب، أيا كان موقعه داخل السياق التخاطبي. ومن أبرز الأدوات اللغوية التي تم تحديدها في ديوان كعب بن مالك هي: الأمر والنهي، والاستفهام، والنداء، والتعجب، والتحذير وغيرها.

ثانياً: الوسائل اللغوية الدالة على التوجيه:

١ــ الأمر والنهي

يعد أسلوب الأمر والنهي من أبرز الأساليب اللغوية التي يلجأ إليها المرسل/ الشاعر في التعبير عن الخطاب التوجيهي فإنه يستعمل جملة من الصيغ المرتبطة بالأمر والنهي لكونها أوضح الأدوات الإنشائية مقارنة بغيرها من الأساليب التوجيهية، وتحمل هاتان الصيغتان دلالات ومعاني تبرز فعل الطلب وما يرتبط به من ضرورة إنجاز الفعل المقصود. فصيغة الأمر تندرج ضمنها ظاهرة الأفعال الكلامية عند التداوليين المعاصرين (صحراوي، ٢٠٠٥، ٤٩)، وهي من التوجيهات التي يكون غرضها إنجازياً ويتمثل في محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء معين واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص يتمثل في الرغبة الصادقة ويدخل في إطاره الأمر والنصح والإشارة والاستعطاف، والتشجيع (نحلة، ٢٠٠٢، ٤٩ــ ٥٠). فالأمر والنهي " أفعال توجيهية إصلاحية يتم تحصيلها من خلال صيغ ذات طبيعة إلزامية إنجازية تلخصه مقولة (افعل ولا تفعل). وهذه الأفعال تعمل على شد انتباه المرسل إليه لمسار الخطاب، وتلزمه بالعمل بمقتضى فحواه، كما أنها تعين المرسل على تحقيق هدفه المنشود دون تمهل أو تسويف من قبل المرسل إليه الذي يترتب عليه امتثال الأمر أو النهي الموجه إليه لإدامة التواصل والتفاعل مع ما هو مطلوب" (عبدالواحد، ٢٠١٨، ١٩٥).

ويتمثل الفعل الإنجازي لهذه الأفعال في قول الشاعر (بن مالك، ١٩٩٧،٥٦):

أبلغ أبياً أنَّهُ فال رأيْهُ وَحَانَ غَدَاةَ الشَّعْبِ والحيْنُ واقع

وأبلغ أبا سفيان أنْ قَدْ بَدا لنا بأحمد نور من هدى الله ساطع

يفتتح خطابه التوجيهي بفعل الأمر(أبلغ) الذي يقوم على فعل إنجازي وظيفته التبليغ الحجاجي، وليس الإخبار. وهذا الافتتاح أسس بنية خطابية تداولية للنص. فتحول من مجرد طلب إلى خطاب الإلزام، وحمل المتلقي مسؤولية نقل الرسالة، يتماشى مع تحقيق التأثير في المخاطَب. وحدد خطابه التوجيهي إلى (أبي) بقوله (أبلغ ابياً أنه فال رأيه) حين وظف فعل الأمر لنقض وتقويض رأيه، لا إبلاغه فقط. ففعل (فال) ألبسه حكماً مسبقاً بفشل رأيه وقومه بالسقوط. ثم عزز خطابه التداولي بتعقيب القول (وحان غداة الشعب والحين واقع) وتكراره لــ (حان – الحين) تمثل في تأدية وظيفة إنجازية حقق من خلالها الوعيد وحتميه الوقوع، وأضفى على الخطاب قوة تأثيرية إقناعية.

وفي مطلع البيت الثاني نلحظ وظيفة الفعل نفسه (وأبلغ أبا سفيان) تمثل تكراراً مقصوداً أريد به تثبيت الاستراتيجية التوجيهية توسيعا لدائرة المتلقين. إذ عمل هذا التكرار على ترسيخ الفعل الإنجازي، مع أنه هنالك اختلافاً في مضمون القصد من التبليغ. فالتبليغ الأول أراد به إبطال الرأي وتقويضه، وأما التبليغ الثاني فجاء لتأكيد الحقيقة العقائدية بقوله (وأن قد بدا لنا بأحمد نور من هدى الله ساطع) إذ عمل على تحويل التبليغ من تقويض ونقض إلى كشف وإعلان لحقيقة النور الذي

أسند للرسول صل الله عليه وسلم نوراً ساطعاً. وهذا الإسناد جعله حجة تداولية تقوم على تقابل بين نور الإيمان بالله ورسوله، وظلمة الكفر والفجور. وهذا التوظيف لم يكن على صيغة انشائية محضة، بل أداة تداولية توجيهية أسست على جملة من العلاقات ذات المقاصد الإنجازية. بدأت بالراي وانتهت بإعلان حتمية المصير. وأسهم تكراره للفعل على خلق ضغط ايقاعي في الخطاب التوجيهي، أوضح إلحاح المرسل بضرورة الكشف عن الحقيقة وإظهارها للمخاطَب، لأن خطابه التوجيهي دار على أدوات الهوية ظاهرية وتبليغيه غير مباشرة. إذ جمعت بين الحجاج والانذار. وانجزت هذه الأفعال الكلامية تأثيرا في المتلقي. ويكشف توظيف كعب بن مالك لفعل الأمر عن وعي تداولي بطبيعة الأفعال التوجيهية، إذ لم يرد هذا الفعل في سياق إنشائي محض، بل جاء محمَّلًا بطاقة إنجازية تتجاوز حدود الطلب إلى صناعة موقف إلزامي للمخاطَب. فصيغة الأمر هنا تؤسس لعلاقة خطابية قوامها سلطة المرسل، ومسؤولية المتلقي في تحقيق مضمون القول في الواقع؛ لأن الأفعال التوجيهية يكون اتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، بما يجعل المخاطَب الجهة المنوط بها تنزيل الخطاب منزلة الفعل (عبدالحق،١٩٩٣، ٢٣٧). ومن ثمّ، فإن فعل الأمر في النص لا يؤدي وظيفة لغوية شكلية، وإنما ينهض بدور حجاجي إقناعي، إذ يتضافر مع السياق الدلالي ليُنتج أثرًا تأثيريًا مقصودًا، قائمًا على وضوح القصد، وصدق النبرة، وتحقق الإرادة الإنجازية. وبهذا يتحول الأمر من مجرد صيغة طلب إلى أداة تداولية تُحكم بناء الاستراتيجية التوجيهية، وتُعزز سلطة الخطاب في توجيه المتلقي نحو تبنّي الموقف الذي يريده المرسل (نحلة، ٢٠٠٢، ٤٩ــ ٥٠).

ويقول الشاعر في موضع آخر (بن مالك،١٩٩٧، ٣٨):

ألا أُبْلِغْ قُرَيْشًا أَنَّ سَلْعاً وما بين العريض إلى الصماد

نواضح في الحروب مدربات وخوص ثُقِبَتْ مِنْ عَهْدِ عَادِ

نلحظ بنى خطابه التوجيهي على تأسيس بأداة الاستفتاح والتنبيه (إلا) وهذا التوظيف أتبعه بفعل الأمر (أبلغ) وكثف تركيبة لإنجاز دلالة تداولية، واستراتيجية إقناعية لتهيئة المتلقي لتلقي رسالة مشحونة بالقوة والتهديد والوعيد، وإن (ألا) أدت وظيفة تداولية قامت على لفت انتباه المخاطَب لما سيلقاه من المسلمين، وجعلت هذه الاستراتيجية الخطاب توجيهياً . وفعل الأمر (أبلغ) أتى ليشكل استراتيجية توجيهية في النص، لم يرد به التبليغ حرفياً، إنما تجاوز لمعنى الإنذار والتهديد والوعيد للجماعة. لأن وجه خطابه إلى جماعة وليس فرداً بعينه، إذ يمثل إسم (قريش) رمزاً لكل من يحاول المعاداة للإسلام أو التحالف ضد المسلمين. مما جعل فعل الأمر فعلاً إنجازيا، هدفه التأثير في المخاطَب وليس نقل الخطاب فقط. وذلك حتى تستوفي البنية الطلبية خاصيتها التوجيهية في بعدها التداولي؛ إذ إن اللجوء إلى الاستراتيجية التوجيهية لا يكون اعتباطيًا، بل يُستدعى غالبًا في سياقات يتجلى فيها نوع من التحدي الصريح أو الضمني لسلطة المرسل أو لتعليماته، أو خروج على النسق القيمي والتنظيمي الذي يمثله، بل قد يكون ردًّا على إساءة موجهة إليه على الرغم مما يملكه من مكانة وسلطان رمزي. ومن ثمّ، فإن فعل الطلب في مثل هذه المقامات يتحول من مجرد صيغة إنشائية إلى أداة استجابة خطابية لموقف صراعي، يُراد بها إعادة تثبيت الهيمنة الرمزية، واستعادة التوازن في العلاقة

التواصلية، وفرض المقصد التداولي بوصفه موقفًا ملزمًا لا يقبل التراخي (الشهري، ٢٠١٥، ٩٠) . وعقب على الاستراتيجية التوجيهية بوصف المكان إذ قال (سلعاً وما بين العريض إلى الصماد) على أنه يمثل عنصراً تداولياً ذا مقصد حجاجي، واستحضاره لهذه الأماكن يشير إلى قوة المسلمين وكيف انتشرت وسيطرت على هذه الأماكن، وأشعر المخاطَب أنهم محاصرون من كل الجوانب. وبلغ خطابه التوجيهي ذروته عند قوله (نواضح في الحروب مدربات وخوض ثقبت من عهد عاد) إذ جاء هذا الوصف لإسناد القوة العسكرية للمسلمين بقوله (مدربات) بأن جيشهم ذي خبرة وجاهزية عالية، وقوله (من عهد عاد) إذ منحهم تفوقاً تاريخياً على امتداد هذه العصور، وحول تمثيله هذا الخطاب التداولي إلى وسيلة للتخويف والضغط على الخصم. وأوحى هذا إن ما يواجههم ليس ظرفا طارئاً أو عابراً، إنما قوة متجذرة وممتدة تاريخياً. ومن منظور تداولي، فإن تكرار فعل الأمر(أبلغ) في كثير من المواضع، بسياقات مختلفة منها معارك أو في التبليغ والنصح والارشاد، كشف عن فاعلية هذه الاستراتيجية في توجيه الخطاب التوجيهي، كذلك عزز هذا التكرار القوة الإنجازية. وفرض المقاصد وتثبيتها، بخطاب قائم على الوعيد والتخويف. وتضافرت عناصر تداولية عدة لغوية لتشكيل الخطاب التوجيهي الذي افتتح بأداة الاستفتاح والتنبيه (ألا) من ثم، فعل الأمر(أبلغ) الذي قام بوظيفة التوجيه والانجاز. فضلا عن وصف صور القتال والوعيد والتهديد وتخويف المخاطبين. وقد برع المرسل في تحويل فعل الطلب (أبلغ) من أسلوب طلبي، إلى أداة تداولية أدت وظيفة التهديد والوعيد وإنذار المتلقي، وهذا السياقات مهدت لخطاب ذي قدرة تأثيرية وإقناعيه على المخاطَب.

ويقول الشاعر في موضع آخر مكرراً الفعل الإلزامي التوجيهي (أبلغ) (بن مالك، ١٩٩٧، ٩١):

ألا ابلغ قريشاً على نأيها أَفَخَرُ مِنَّا بِمَا لَمْ تَلِي

فَخَرْتُمْ بِقَتْلَى أَصَابَتْهُمُ. فَوَاضِلُ مِنْ نِعَمِ المُفضل

وفي هذا النص يوظف الشاعر بنية الخطاب التواصلي على الاستراتيجية التوجيهية، ويفتح الخطاب بأداة الاستفتاح والتنبيه(ألا) مقترنه بفعل الأمر (أبلغ) يهيئ المتلقي لتلقي خطاباً تداوليا قوياً بفعل انجازي عالي، فإن (ألا) لا تؤدي وظيفة الاستفتاحية والتنبيهية المحضة بل تقوم بوظيفة تداولية، وتعمل على لفت انتباه المخاطَب وتهيئته لتلقي رسالة تحمل معنى المجالدة والافتخار في الوقت نفسه، ويأتي بعدها الفعل(أبلغ) لا ليؤدي معنى الطلب المباشر، بل يؤدي دور الوسيط الخطابي، ففعل الأمر هنا ليس مجرد استعلاء لغوي، بل هو فعل توجيهي يريد به فرض وجهة نظره وإجبار المتلقي على سماع الرواية، وهي تقليل من قيمة النصر للمشاركين وإعادة التفكير في الخسائر المعنوية التي لحقت بهم، ويغدو توظيف الشاعر لصيغة الأمر، ولا سيما تكرار الفعل (أبلغ) في أكثر من خمسة مواضع نصيّة، إجراءً تداوليًّا مقصودًا لا تحكمه العفوية، بل يستند إلى وعي تواصلي يروم تثبيت القضية في وعي المخاطَب وترسيخها في أفق انتظاره. فالتكرار هنا لا يُفهم بوصفه إعادة لفظية، وإنما هو آلية حجاجية تعمل على تكثيف الرسالة وتعميق أثرها النفسي، بما يجعل الخطاب أكثر قدرة على الإقناع والتأثير. ومن ثمّ، فإن هذا الإلحاح

الأسلوبي يُمثل غرضًا تواصليًا يتوسل به المتكلم لتوكيد المعنى، وتنبيه المخاطَب إلى خطورة الموقف، واستحضار النتائج الوخيمة التي قد تترتب على التقصير أو سوء التقدير. وبهذا يتحول الأمر من مجرد أداة طلب إلى استراتيجية خطابية واعية تسعى إلى ضبط مسار التلقي وتوجيهه نحو استيعاب أبعاد القضية المطروحة (صحراوي، ٢٠٠٥، ٢٠٦).ويعزز خطابه من خلال أسلوب الاستفهام الاستنكاري في قوله(أتفخر منا بما لم تلي) إذ ينزاح الاستفهام من وظيفته الأصلية إلى وظيفة تقويمية تسعى إلى نزع الافتخار من المتلقي، ويعمل هنا في سياق تداولي، على أحداث خلخلة في موقف المتلقي، ويجعله في موضع الاتهام بعد ما كان في موضع المنتصر، أما قوله (فخرتم بقتلى أصابتهم فواضل من نعم المفضل) فإن ذروة الانجاز الخطابي تتمثل هنا اذ يعمل الفعل الماضي (فخرتم) إلى إدارة سخرية وتعريض وتبيان زيف ذلك الفخر، ثم نلحظ إعادة التوجيه نحو المسلمين مما يقدمونه في القتال، إن هذا الخطاب التوجيهي لا يقوم على الحث أو الإرشاد، بل على السخرية والمجالدة وتبيان معنى النصر وفق سياق أخلاقي منطقي، والشاعر هنا اعتمد على توالي أدوات التوجيه(أداة الاستفتاح، فعل الأمر، الاستفهام الاستنكاري وفعل الماضي) لإقناع المتلقي وتثبيت موقفه من النصر وعدالة رؤيته، وهنا الفعل عبر حدود الاخبار بل إلى فعل التأثير، وحقق وظيفته التوجيهية، وفق السياق التداولي.

ويقول الشاعر في موضع آخر (بن مالك، ١٩٩٧، ٥٣):

أَيُّها السَّائِلِي عَنْ عَشِيرَتِي هَلُمَّ إلى أهل المكارم والفَخْرِ

أنا ابن مباري الريح عمرو بن عامر

نَمَوْتُ إلى قحطانَ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ

نلحظ استفتح الخطاب بأداة الاستفتاح والتنبيه (أيها) وإن هذه الأداة تؤدي وظيفة تداولية مزدوجة فهي من جهة أداة نداء ومن جهة أخرى الهاء للتنبيه أي (نداء+ تنبيه) والأصل فيها (يا أيها) لكن غالباً ما تحذف أداة النداء (يا) لوجود ما يدل عليها، وتقوم بتنبيه المخاطب، وهنا الشاعر بهذا الافتتاح يريد التمهيد لخطاب فخري بأهله وعشيرته، بكلامه المقصود وليس مجرد رد عابر عن سؤال عن نسبه، ويعقب الاستفتاح بالنداء (أيها السائلي) وإن هذا النداء المركب يجمع بين أداة النداء والهاء للدلالة على التعظيم وتنبيه المتلقي، جعل خطابه موجه مباشرة إلى السائل عن أهله وعشيرته، وهذا ليس نداء صوتيا فقط إنما يقوم بوظيفة تداولية تجعل المخاطب طرفاً مباشراً في خطابه الفخري،ويصور لنا الشاعر كأنه في مواجهة ليعرض للمتلقي مفاخره بقصد، وبعدها ينتقل إلى توظيف إسم الفعل (هلم) بقوله (هلم إلى أهل المكارم والفخر) وجاء اختيار اسم فعل الأمر (هلم) بمعنى أقبل لخلوه من دلالات الاستعلاء والشدة والقوة واتسامه بالرقة والليونة، وهذا التوظيف جاء لتوجيه المتلقي ودعوته بلطف، بعيداً عن التسلط، ليبين له ما ينسجم مع السياق من معاني المجد والعزة والكرم لأنه أراد بهذا الإقبال إقبالاً على مكارم الاخلاق والفضائل التي تتميز بها عشيرته، ويكتمل هذا الخطاب التوجيهي مع مضمون الفخر الذي جعله صفة عامة لعشيرته. ويتعزز البناء التوجيهي في خطاب كعب بن مالك من خلال توظيفه لاسم فعل الأمر «هلم»، بوصفه أداة ذات حمولة إنجازية مكثفة، إذ لا يقتصر أداؤه على معنى

الطلب، بل يتضمن بعدًا إغرائيًا يستميل المخاطَب ويحفزه على الإقبال. فاختيار اسم الفعل بدل صيغة الأمر الصريحة يكشف عن وعي تداولي بطبيعة المقام، لأن «هلم» يُنتج توجيهًا مباشرًا مشفوعًا بنبرة صدق وإخلاص تُقلّص احتمالات التأويل، وتُبرز أولوية تبليغ الرسالة في سياق الفخر وإثبات المكانة. ومن ثمّ، يغدو هذا الاسم فعلاً تواصليًا ناجزًا يتحقق أثره بمجرد التلفظ به، إذ يستدعي المخاطَب إلى فضاء القيم التي يفاخر بها الشاعر، ضمن استراتيجية خطابية تقوم على الاستمالة والتحفيز لا على الإكراه أو الاستعلاء (ابن يعيش، (د. ت)، ٢٥). ويعزز خطابه بهويته حين ينتقل من توجيه لإثبات الذات، وضمير المتكلم (انا) يثبت حضوره القوي الذي يستمده من نسبه ويفخر بامتداده المتوارث تاريخياً. وأنه لا يكف بذكر الأب والجد القريب، بل يعمق الفخر بجذره القبلي، والبعد الزمني شاهد على أصالته، وحقق هذا التدرج الذي ابتدأه بالنداء (أي) ومن ثم بالتنبيه (ها) من والدعوة باسم الفعل بعدها والفخر بالأصل والعشيرة بخطاب متماسك منحه قوة تداولية ذات طبيعة إنجازية، وجعل الفخر بالنسب فعلاً تواصليا مؤثراً في متلقيه بمساندة الأدوات اللغوية والمقاصد التداولية لإثبات الأصالة والكرم.

أما صيغة النهي فيمكن تلمس وجودها في نصوص الشاعر في مواضع عدة:

يقول الشاعر في موضع آخر موظفاً صيغة النهي (ابن مالك، ١٩٩٧، ٢١):

فلا تَعْجَلْ أَبَا سُفْيَانَ وَارْقُبْ جياد الله تطلع مِنْ كداء

بِنَصْرِ اللَّهِ رُوحُ القُدْسِ فيها. وميكال، فيا طيب الملاء

ويُحدَّد مفهوم النهي في التصور التداولي بأنه (طلب الكف عن شيء ما، مادي أو معنوي، وتدل عليه صيغة كلامية واحدة هي: الفعل المضارع الذي دخلت عليه (لا) الناهية) (حبنكة، ١٤١٦هـ، ٢٢٨)، ويستفاد من(صيغته التكليف الإلزامي بالترك وعدم الفعل) (حبنكة، ١٤١٦هـ، ٢٣١)، غير أنّ هذا التحديد البنيوي لا يستنفد طبيعته الوظيفية؛ لأن النهي، في مستواه التداولي، يتجاوز كونه صيغة تركيبية إلى كونه فعلًا إنجازيًا يتأسس على علاقة تواصلية تحكمها اعتبارات المقام وسلطة المتكلم وموقع المخاطَب داخل البنية الخطابية.

ومن هذا المنطلق، يُعدّ النهي أداة مركزية ضمن الاستراتيجية التوجيهية، إذ يُنجز المرسل من خلاله فعلًا تأثيريًا يروم إعادة تشكيل سلوك المتلقي أو كبحه بما ينسجم مع مقاصده التداولية. وتتفاوت قوة هذا التوجيه تبعًا لطبيعة العلاقة الاجتماعية بين الطرفين، ولحمولة الخطاب وسياق إنتاجه؛ فليست الصيغة وحدها هي التي تمنح النهي قوته، بل السياق هو الذي يحدد درجته الإنجازية. لذلك قد ينزاح "النهي " عن معناه الأصلي إلى دلالات تداولية أخرى، كالدعاء، والالتماس، والإباحة، والتوبيخ، والتهديد... إلخ"، فيتحول من مجرد طلب كفٍّ إلى وسيلة خطابية مرنة تُعيد إنتاج معناها وفق مقتضيات المقام، وتستمد فاعليتها من التفاعل بين البنية اللغوية والمقصد التداولي. نلحظ خطابه قائما على استراتيجية توجيهيه تأسست على بنية تداولية وظفت أسلوب النهي بقوله (فلا تَعْجل أبا سفيان) إذ رسم خطاباً مدخله إنجازيا ليحدد علاقة المرسل والمتلقي. فلم يخرج لغرضه الحقيقي لطلب الكف، بل خرج لغرض مجازي تداولي هو الإنذار والتهديد

والوعيد. وأرتبط هذا التهديد بالنصر الذي حسمه المسلمين. وقد اقرن كعب بن مالك النهي بفعل الأمر (أرقب) وعزز هذه الفاعلية التوجيهية بتقابل بنائي بين (نهي ـــــ أمر) ونهيه عن العجلة لا يريد به الوقوف عن العجلة، إنما لينتظر حدثنا عظيماً سيلحق بهم. وعمق خطابه التوجيهي بالتعقيب بقوله (جياد الله تطلع من كداء) فتحولت الصورة لمشهد حركي عظيم إذ أسند (الجياد) إلى لفظ الجلالة (الله) ليس قصده من هذا الإسناد وصفا، إنما هو إسناد تداولي حجاجي. وجعل مجال الخروج من (كداء) إذ الملائكة والجنود تطلع من كل جوانب مكة المكرمة. وهذا الخطاب ليس موجهاً لابي سفيان فقط إنما كان موجهاً للجماعة، واتسع موقف التلقي ليشمل كل من شاركه بالمواقف. ويكمل خطابه التهديدي ببناء تداولي بقوله (بنصر الله روح القدس فيها وميكال فيا طيب الملاء) ونقل خطابه من توجيهي إلى تأييد من الله جل وعلا. باستدعاء الملائكة (روح القدس) جبريل عليه السلام و(ميكائيل) الذي لم تؤدي وظيفته الاخبارية، بل يمثل آلية تداولية لتكثيف سلطة الخطاب، فالمخاطَب هنا لا يكون بمواجهة مع البشر فحسب إنما هو نصر إلهي. فذكر الملائكة جاء من منظور تداولي، حول النهي من صيغة لغوية إلى فعل إنذاري، حقق شرط الإيمان بالنصر، وهو يحقق قوة إنجازية إذ حمل المخاطَب على حتمية الهزيمة والانتصار على المشركين. إذ يتضح في النص أسس الاستراتيجية التوجيهية، ابتدأه بالنهي، ثم عقبه بالأمر، ثم نهاه بالاستدعاء الملائكي وهذا التدرج التداولي وصعد الخطاب إلى تضييق على المتلقي وإشعار بأن بدائرة مغلقة. ونجح بهذا التوظيف للنهي بوصفه أداة توجيهية بطابع تهديدي، جعلت خطابه ذا قدرة تأثيرية وإقناعيه للمخاطَب. إذ اكتسب هذا الخطاب بعدا تداوليا ببنيته اللغوية. وسياقه ومقاصده التوجيهية التهديدية.

ويقول الشاعر في موضع آخر موظفاً أسلوبي الأمر والنهي معاً (ابن مالك، ١٩٩٧، ٣١):

صَفِيَّةُ قُومي ولا تَعْجَزِي وبكي النِّسَاء على حَمْزَةِ

ولا تَسْأَمي أنْ تُطِيلي البُكَا عَلَى أَسَدِ الله في الهِزَّةِ

يفتتح الشاعر خطابه التوجيهي بالاسم الصريح (صفية)، وهي صفية بنت عبدالمطلب، وهو يبين قرب العلاقة بين المخاطِب والمرثي. وإن هذين البيتين غلب عليهما أسلوب الأمر بدلالة (قومي) لا تعجزي والنهي (لا تسأمي) واتخذ أسلوباً دلاليا تداولياً، تمثل بموقف استشهاد حمزة رضي الله عنه، ويأتي النهي في صدر البيت (لا تعجزي) نهيا حقيقياً مباشراً من حيث معناه اللغوي وصيغته للدلالة تداولية أعمق، فالعجز الذي ينهى عنه ليس عجزاً مادي ملموساً إنما حالة نفسية، وهذا النهي جعله موجهاً لضبط المشاعر والانفعال لا إلى كبح سلوكه الخارجي، والاداة اللغوية حولته إلى نهي لتقوم موقفه الوجداني، واستمرار الحزن والحفاظ على استجابة تتناسب مع جسامة الفقد. ويعزز المسار في النهي الثاني (لا تسامي) وينقل النهي من منعها الفتور إلى منعها الانكسار فالسام هنا يأكل الحزن بمرور الوقت. وهو هنا يريد أن تبقى تبكي حمزة أبد الدهر وليس في لحظة عابرة، والنهي هنا يؤدي وظيفة ضبط الإنفعال بمرور الزمن. والنهي هنا اكتسب قوته التداولية من الأفعال الضمنية مثل (وبكي النساء، تطيلي البكاة) والنهي يعمل داخل شبكة من الأفعال تنتج معاني مركبة، منها قوامه الإلحاح على فعل البكاء، فإن

النهي عن السأم في معناه يلزمه بالاستمرار بالبكاء ونهيه عن العجز وأمره بالثبات والصبر، وتعليله غير المباشر في قوله (على أسد الله في الهزة) واستحضار لقب حمزة فهنا نهي تبريري فالحزن والبكاء لا للذات إنما لعظمة المفقود ومكانته. فالنهي هنا لم يكن لغوياً أو سلوكيا إنما كان آلية تداولية لضبط المشاعر والانفعالات، والحزن والبكاء دون السأم وتناسب الحادثة بمرور الزمن.

ويقول الشاعر في موضع آخر جامعاً في إطار البنية التداولية التوجيهية بين الأداة (ألا) وفعل النهي (لا تملي ــ لا تبدي) الإظهار معاني السخرية والتحقير من المخاطَب (هند) (ابن مالك، ١٩٩٧، ٨٣):

ألا يا هند فابكي لا تملي فَأَنْتِ الوَالِهُ العَبْرَى الهَبُولُ

ألا يا هند لا تُبدي شماتاً بحمزة إنَّ عِزَّكُمُ ذليل

يبدأ خطابه الشعري بالأداة التنبيهية (ألا) وهي ليست مجرد أداة يفتتح بها الشاعر على أنها أدت تنبيهيه، إنما وظيفتها تداولية انتباهيه، وتعمل على لفت انتباه المخاطَب وشد انتباهه إلى ما سيلقيه الشاعر من خطاب سخرية وعتاب، وينبهه لما سيقدم له من توجيه مصحوب بأداة لغوية مشحونة بالسخرية والتهكم. ثم يتبعها الشاعر بالنداء بالاسم العلم(هند) فخطابه هنا مباشر دون كنية أو لقب، وجعل الخطاب مباشراً ليؤكد على خصوصية خطابه لهند وخطابه فيه نغمة حادة مع نبرة اللوم والتوبيخ، وقوله هنا موجه لهند بنت عتبة، ويعقب بالتوجيه بالفعل وأداة النهي لا (فابكي لا تملي) وهنا الفعل (لا تملي) لم يخرج للحقيقة إنما جاء بدلالة مجازية لم يقصد بها المنع في ثوب السخرية والتحقير والتهكم، وهو لم يحثها على البكاء على قتلاها تعاطفاً معها إنما يقصد به الحزن وإظهار الضعف والانكسار على حالها، وهنا النهي قام بوظيفة تداولية توجيهية إذ تحول الملل من البكاء إلى حسرة واللوم على قتلاها واراد به الحط من منزلتها وتقليل شأن المتلقي (هند) ويعزز خطابه بالوصف في قوله(فأنت الواله العبرى القبول) ويسند إليها فقدان التوازن والانكسار، وهذه الصفات تحول الحزن والبكاء من فعل عاطفي إلى دلالة على الهزيمة والحرب النفسية، وهذا النص يبين سياسية التوجيه التداولي لإظهار المخاطب في أبشع صورة من الضعف والذل والهوان. وإن تكرار الشاعر في البيت الثاني في خطابه في قوله (ألا يا هند) ليس اعتباطا بل هي آلية تداولية تؤكد على الإلحاح ليبقي المتلقية داخل دائرة الإنتباه والتوبيخ والتحقير، وتبعها بي لا والفعل(لا تبدي شماتاً) وهنا النهي خرج لغرض مجازي معناه التقريع والتحقير والاستهزاء والمرسل لا يخشى عليها الشماتة وانما يسخر منها على محاولتها إظهار الفرح والفخر باستشهاد حمزة. وإن انزياحه الدلالي يعززه بقرينة التعليل في قوله (بحمزة إن عزكم ذليل) وهنا الشاعر يقابل بين مقامها ومقام حمزة ويسقط أي قيمة للشماتة مؤكداً أن قتيلهم لا يقارن به وإن تصورها بالعز والفخر ما هو إلا ذل وهوان في الحقيقة، وهنا يقابل بين الشماتة والذل وبين البكاء والعز، حيث منح هذا التقابل النص التداولي دلالة مجازية. وإن النهي والتوجيه هنا لم يؤدي وظيفته الحقيقة بل كان أداة بلاغية تداولية أنتجت لنا معنى الاستهزاء والتحقير والذل، وحول صيغة الطلب والتوجيه الى وسيلة للهدم والتقويض للمخاطبة بأعدائها بالظفر والفوز والعزة. وإن اجتماع هذا الأدوات من الاستفتاح والنداء والنهي في بنية تداولية محكمة جعلت النص فعلاً توجيهيا هجائيا أراد به الأخبار من خلال

التواصل بالرموز في سياق يقوم على الإهانة والسخرية والتهكم.

ويقول الشاعر في موضع آخر (ابن مالك، ١٩٩٧، ٢٩ــ٣٠):

وأَعْضُوا عَنِ الفَحْشاء لا تَعْرِضُوا لها ولا تَطْلُبُوا حَرْبَ العَشِيرَةِ بالقَلْبِ

ولا تَقْضِبُوا أَعْرَاضَهُمْ فِي وُجُوهِهِمُ ولا تلمسوها في المجالس والركب

ولا تأكلوا مالاً بإثم ولا يكُن مُعانده بالترهات وبالغَضَبِ

ونلحظ في هذه الأبيات يتشكل خطاب توجيهي تداولي قائم على التعاقب بين فعلي النهي والأمر، إذ جعل مسار القول موجهاً إلى المخاطَب توجيها اصلاحيا أخلاقيا لا يقوم على التسلط أو الإلزام بل قائم على الإرشاد وتقديم النصيحة وإن المخاطَب له إستعداد لتقبل النصيحة والامتثال للأمر، وافتتح خطابه التوجيهي بالفعل (واغضوا عن الفحشاء) وهنا جاء الغرض بدلالة إرشادية وليست إلزامية، واراد به ترفع المخاطبين عن الأخلاق الحميدة ونبذ أي خلق يخل بالمروءة وكف البصر عن الفواحش، وإن هذا الاستهلال جاء لبناء علاقات تواصلية تداولية تقوم على النصح وتهذيب الأخلاق لا تسلط واستعلاء بينها وتهيئة المخاطبين لتلقي الكثير من النصائح والإرشادات التوجيهية. ويتبع بالنهي بقوله (ولا تعرضوا لها) وهنا جاء النهي ليسد باب الانحراف بينما الأمر كان لتوجيه المتلقي وإرشاده، ويستمر النهي في هذا البيت (ولا تطلبوا حرب العشيرة بالقلب) إذ نقل النهي والتوجيه من الفردي إلى نهي جماعي يحذر فيه من إثارة العداوة والبغضاء والأخذ بالثأر وإن انعكاس أخلاق الفرد على السلم الاجتماعي. وفي البيت الثاني يفتتحه بالنهي أيضاً بالتكرار وهي آلية تداولية ودلالتها على الإلحاح. ويستأنف النهي في قوله (ولا تقضبوا أعراضهم في وجوههم) ويؤكد بتكرار لفظة(أعراضهم) لما لها من دلالات حسية في قوله (ولا تلمسوها في المجالس والركب) ووسع دائرة التحذير وجعله شاملاً في القول والسياق. ويبلغ الخطاب التوجيهي ذروته عند قوله (ولا تأكلوا مالا بإثم) وهذا التركيب يحمل اقتباسا اشاريا من القرآن الكريم منحة قوة أخلاقية ودينية مستمدة من القرآن الكريم بتحريم أكل المال بالباطل وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ (سورة البقرة، الآية: ١٨٨) وهذا النهي رادع لعدم القيام به،

ويكمل البيت بنهي آخر (ولا يكن معانده بالترهات وبالغضب) حيث تحول الخطاب التوجيهي من خطاب للسلوك الخارجية إلى تعديل السلوك الداخلي محذرا من التقليد الأعمى والعناد، وكشف لنا عن رؤية الشاعر التي أراد التوضيح لنا من خلال الأمر والنهي في هذه الأبيات. وإن تكرار (لا) ليس مجرد عدد إنما استثمرت بوصفها وسيلة لضبط الإيقاع التواصلي ولما تؤدي من وظيفة تداولية توجيهية، وتبين خطورة الأفعال المنهي عنها في المجتمع. فالتكرار هنا له دلالة على إلحاح المرسل وحث المتلقي للامتثال للأوامر واجتناب النواهي وإن النهي والتوجيه هنا خرج من دائرة الطلب والالزام إلى دائرة النصح والإرشاد والتوعية إذ أعطى للمتلقي حرية الاختيار والاستجابة، بما يتناسب مع أعراف المجتمع وتقويم سلوك الفرد والمجتمع. عبر سلسلة من الأفعال التي بدأت من ضبط الإنفعال الفردي إلى حماية الأعراض، ثم صيانة الأموال، وبعدها تهذيب الانفعالات الداخلية. ويتضح لنا من هذا الخطاب

التوجيهي المتماسك إذ تساندت فيه النواهي والأوامر في بنية تداولية محكمة استطاعت التأثير في المتلقي وتوجيهه بالإقناع لا بالقسر، مما منح النص فاعلية تداولية إرشادية تحذيرية ذات إيحاء توجيهي.

ويقول الشاعر في موضع آخر موظفاً فعل الأمر (ابن مالك، ١٩٩٧، ١٠٩):

أنفق وأخلف ولا تَكْسَبْ بمأثمة. مالاً ولا تَكْتَسِبْ مَالاً بَقِيَانِ

نلحظ استهل خطابه بفعلي الأمر(أنفق) و(اخلف) وخرج هذان الفعلان لغرض النصح والإرشاد إذ أراد بهما المرسل الانفاق والاخلاف لكن بطريقة النصح وليس الفرض والقسر، وانما يحث المتلقي على التخلق بالأفعال الحسنة والكرام وينسجم هذا مع التعاليم الإسلامية التي تقرن الإنفاق والاخلاف بالبركة في المال وهذا ينسجم مع توجيهات القرآن الكريم في حثه على الإنفاق والصدقة في آيات كثيرة، منها قوله تعالى دال على الإخلاف ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (سورة سبأ، الآية: ٣٩) وكذلك قوله تعالى ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ (سورة البقرة، الآية: ٢٤٥) . وإن توالي فعل الأمر في البيت أعطى للمتلقي تحفيزاً وترغيباً بالإنفاق، ويعقب ذلك بالتوجيه بالنهي بقوله (ولا تكسب) وقد تكرر مرتين مقارنة بـــــــــ(لا) الناهية مقرونة بفعل الأمر (تكسب) وهذا النهي أراد به التوجيه الأخلاقي وليس المنع القسري أو الزجر والتوبيخ، وتكرار النهي دلالة على الإلحاح والتحذير.

وتُعدُّ فنون التوكيد اللاحقة للطلب مؤشراً تداولياً يعكس قوة النهي في الخطاب، إذ يبرز أنّ النهي المصحوب بهذه الفنون يتفوق تأثيره على الخطاب الذي يفتقر إليها. وبذلك، يتضح أن توظيف النهي لا يخضع للبنية اللغوية فحسب، بل يرتبط بالسياق التداولي الذي يكشف وعي المرسل بخصائص المتلقي، سواء أكان متصفاً بالضعف أو القوة، وبأهمية الفعل أو الأمر المنهى عنه (الشهري، ٢٠١٥، ٣٥٠ــ ٣٥١). ومن ثمّ، فإن النهي في هذا السياق ليس مجرد صيغة لغوية، بل آلية للتوجيه الإرشادي، تعمل على تكثيف أثر الفعل المطلوب للترك أو الامتناع، بما يضمن استجابة المخاطَب وملاءمة السلوك المقصود للغايات الأخلاقية والتربوية المرجوة. وإن هذا الخطاب التوجيهي يحمل طابعاً شموليا لما يحمله من توجيها عاماً للمجتمع الإسلامي وأوضح لنا بتكامل الفعلين (أنفق و اخلف) و(تكسب) إذ اقترن الإنفاق والاخلاف بالكرم والمروءة الإسلامية وكسب المال الحلال بعيداً من الشبهات. وإن هذا التوظيف يتجلى في صدر البيت بفعل الأمر بوصفه أداة للترغيب، وفي عجزه أسلوب النهي أتخذ أداة للتحذير وتنبيه المتلقي، وهذا البناء التداولي حقق الغرض الإرشادي والتوجيه، وأكد القيم والأخلاق الإسلامية الفاضلة في الخطاب الشعري، من دون أن تتعارض مع الشخصية العربية التي تتسم بالكرم والمروءة والعفة والشهامة.

٢ــ الاستفهام

ويلجأ المخاطِب إلى توظيف أسلوب الاستفهام في خطابه التوجيهي ضمن أطر مخصوصة، مستعيناً بأدوات متعددة يُفعلها داخل خطابه منها: (الهمزة، ما، من، أين، متى، كيف أي ... الخ)، وتختلف دلالة كل

أداة ووظيفتها اللغوية والأسلوبية تبعاً لسياق الاستعمال والخطاب الوارد فيه. ويؤدي الاستفهام في الخطاب التوجيهي وظيفة تداولية، إذ يعتمد عليه المخاطِب في الإشارة إلى مقصده على نحو غير مباشرة، كما يحفز المتلقي على الإتيان بجواب واضح وصريح. وقد ينصرف الاستفهام عن معناه الأصلي إلى مقاصد وسياقات أخرى، فتتعدد أغراضه ودلالته، نحو " التقرير المتضمن دلالة التثبيت، والتحقيق والتوكيد والنفي والاستبعاد والإنكار والنهي المشرب بالإنكار والتوبيخ والاستهزاء والثناء والتعظيم " (الزركشي، ٢٠٠٦، ٢٠٣).

ويعد استعمال الاستفهام من الآليات اللغوية التوجيهية؛ لأنها توجه المخاطَب إلى خيار واحد وهو ضرورة الإجابة عليها، ومن ثم، فإن المتكلم يستعملها للسيطرة على مجريات الأحداث، بل وللسيطرة على ذهن المخاطَب، وتسيير الخطاب تجاه ما يريده المتكلم، لا حسب ما يريده الآخرين. وتندرج تحت استراتيجية التوجيه في الاستفهام، فتكون أحكم في الاستفهام المغلق؛ لأنها توجه إلى الجواب أولا، وإلى محتوى القضية أيضاً، وبذلك يكون الاستفهام المفتوح أقل توجيها؛ إذ يتفق مع الاستفهام المغلق في أنه يوجه المخاطَب إلى الجواب، ولكنه يأخذ بقاعدة إعطاء الحرية عند (لاكوف)، في أنه يترك الخيار للمخاطب في تحديد الجواب الذي يريده (الشهري، ٢٠١٥، ٣٥٢ــ ٣٥٤).

ويقول الشاعر في إطار توظيفه الاستراتيجية الاستفهام (ابن مالك، ١٩٩٧، ٩٧):

مَنْ مُبْلِغُ الأنصارَ عَنِّي آيَةً رُسُلاً تَقُصُّ عَلَيْهِمُ التِّبْيَانَا

رُسُلاً تُخبّرُكُمْ بِما أَوَلَيْتُمُ أَنَّ البَلاءِ يُكَشْفُ الإِحْسَانَا

ويُمكن النظر إلى هذا الأسلوب على أنه طرح استفهام توجيهي؛ إذ يبدو السؤال ظاهرًا على هيئة استشكال يحتاج إلى جواب، إلا أن القصد التداولي منه توجيهي بحت، لا يهدف إلى إجابة بنعم أو لا، بل يسعى إلى حث المخاطَب على بلورة رد فعلي عملي ينسجم مع مقاصد المرسل (الشهري، ٢٠١٥، ١١٥ــ ١١٦). ومن هذا المنظور، فإن الاستفهام لا يؤدي وظيفة دلالية معرفية محضة، بل وظيفة إنجازية تداولية، إذ يحوّل المتلقي من موقف المتلقي السلبي إلى موقف متفاعل وملتزم، ويخلق توترًا معرفيًا وسلوكيًا يهيئه لتلقي التعليمات أو الملاحظات التوجيهية، ويضمن استمرارية التأثير التوجيهي في وعيه. افتتح الشاعر النص الشعري بالاستفهام ب(من) بوصفها أداة افتتاحية تنجز فعلاً تواصليا، إذ أشار هذا الخطاب إلى السؤال من دائرة الاخبار إلى دائرة التوجيه، فعند ما قال(من مبلغ الأنصار عني آية) لا يريد بها البحث عن شخص بالفعل وإنما أراد بها تنظيم علاقة تواصلية بين المرسل والمتلقي، والاستفهام هنا وضع المتلقي أمام سؤال مفتوح ظاهرياً لكنه في الحقيقة مغلق دلاليا. وهنا وظف الشاعر أداة الاستفهام لإنتاج توتر مقصود لدى متلقي الخطاب التوجيهي، فالسؤال هنا لا يحتاج جواباً إنما أراد به تهيئة المتلقي لتلقي خطاباً تقويمياً إرشادياً. وأوضح أكثر عندما أنتقل من أسلوب الاستفهام إلى التفصيل في قوله (رسلا تقص عليهم التبيانا) إذ استبدل صيغة السؤال بصيغة العرض والتوضيح، بعد ما أثار انتباه المتلقي ليؤكد له المعنى وهذا التبيان جعله يقدم معطى واضحاً، ليس فيه شيء من اللبس أو الغموض مما جعل الاستفهام في السياق

لا يؤدي وظيفة دلالية وانما وظيفة توجيهية. وجاء تكرار لفظ (رسلا) لتعزيز الخطاب التوجيهي التواصلي إذ حول الإخبار إلى تواصل لا ينقطع، يضمن استمرارية التأثير التوجيهي في المخاطَب فالتكرار يكثف حضوره في وعي المتلقي ويعمق من أثر التوجيه. ويكمل خطابه التواصلي بقوله (تخبركم بما أوليتم) ويوجه الخطاب من نقطة العرض إلى نقطة المواجهة، وموضوع خطابه كأن باستحضار الأفعال الإنسانية. وهذا التحول لم يأتِ فجائياً إنما مهد له من البداية بالاستفهام بـــ (من) وهيأ المخاطَب لتلقي هكذا خطاب. وفي عجز البيت أغلق دائرة التوجيه التواصلي بي(إن البلاء يكشف الإنسان) إذ حكم على عامة الناس ضمن رؤية شاملة عن أخلاق البشر. وهنا يوضح لنا جلياً وظيفة الاستفهام ولم يكن الغاية في ذاته، إنما أرادها مدخلاً للاستشارة والسؤال ثم العرض لمقاصد الخطاب، بعدها تتجلى وظيفتها التوجيهية للتقويم،. وأخيراً يمكن القول إن الاستفهام بـــ(من) كان ضمن بنية تداولية توجيهية تواصلية، أجاد الشاعر توظيف أسلوب الاستفهام بـــ (من) لا لطلب الجواب إنما لشد انتباه المخاطَب والتمهيد لتلقي الخطاب التوجيهي الذي يهدف للتأثير والتقويم.

وفي موضع آخر يقول الشاعر(ابن مالك، ١٩٩٧، ٥٤):

أتحسب أولاد اللقيطة أننا على الخيل لسنا مثلهم في الفوارس

وأنا أناس لا ترى القتل سبة ولا ننثني عند الرماح المداعس

ويُعدّ استعمال الأسئلة الاستفهامية آلية لغوية تداولية توجيهية، إذ يوجّه المرسل المخاطَب نحو خيار محدد ويكسب الخطاب قوة إملائية على قبول الإجابة أو الاستجابة، بما يعزز السيطرة على مجريات الأحداث وسلوك المتلقي. وفي هذا الإطار، تُستخدم الأسئلة، وخصوصًا المغلقة منها، ليس لمجرد طلب المعرفة، بل لضمان هيمنة المرسل على الذهن التفسيري للمخاطَب، وتوجيه الخطاب وفق ما يبتغيه المرسل دون أي تحكّم من الآخر (الشهري، ٢٠١٥، ٣٥٢ــ). ومن ثم، فإن الاستفهام في هذه الحالة يتحوّل إلى أداة إنجازية، تمكّن المتكلم من توجيه السلوك، وتقويم تصور المخاطَب، وتثبيت الرسالة التداولية في وعيه، بما يتوافق مع المقاصد التوجيهية الاستراتيجية للخطاب. نلحظ أن الشاعر وظف اسلوب الاستفهام بالهمزة بقوله (أتحسب أولاد اللقيطة وأننا) بخطاب ذي بعد توجيهي ساخر، ووجه هذا الخطاب التواصلي للمشركين في إحدى الغزوات، والاستفهام هنا لا يقصد به طلب المعرفة، بل ضمن مقاصد توبيخية، إذ استعمله المرسل ليقوم موقف المخاطبين وتوبيخهم وتقريع تصورهم عن المخاطِب وجماعته، ويعزز خطابه بـــ (أولاد اللقيطة) الذي يقصد به التوبيخ بأسلوب استفهامي، وهذا عبارة سب وشتم صريحة، واستعملت لتكثيف القوة الإنجازية للاستفهام. وجمعه لمكون السب والشتم مع اداة الاستفهام جعل الخطاب مؤثراً وحوله إلى خطاب هجائي هجومي، وهذا الهجوم جعل المتلقي بمنزلة الإدانة بدل من موضع الندية. وأما الفعل (تحسب) وهو معروف عنه أنه من أفعال الظن والشك، فقد أخرجه الشاعر عن دلالته الأصلية على الظن والاحتمال، وصاغة مع الاستفهام الإنكاري وخلصه من معنى الظن وألبسه دلالة التقابل والمناقضة بين ما يقرر ويؤكده المرسل وما يظنه المتلقي، وجعل دلالة هذا الحسبان المقترن بالاستفهام يخرج لغرض التوبيخ وتخطئة المتلقي. ويقابلها في عجز البيت بقوله

(على الخيل لسنا مثلهم في الفوارس) ونلحظ أنه أنشأ مواجهة مباشرة بين لوحتين لوحه رسمها المرسل في الخطاب التواصلي وأخرى رسمها المخاطَب، وتؤدي هذه المقابلة وظيفة توجيهية من خلال تبيين قوة المسلمين في المقابل سذاجة المتلقين وتوبيخهم على ادعاء الفروسية أو مماثلتهم للمسلمين في القتال، ويكمل خطابه بالانتقال إلى التقرير في خطابه التوجيهي بـــ (وأنا أناس لا ترى القتل سبة) ويقدم القتل لأنه ضمن سياق حربي، فلا ينظر له بوصفه سبة أو عاراً، بل سلوك يدل على الشجاعة والمروءة ويتعزز خطابه التوجيهي بـــ (ولا ننثني عند الرماح المداعس) وهذا الوصف لجماعته يدل على ثباتهم وشجاعتهم عند لقاء العدو واشتداد القتال، وهذا التوجيه لقوة الذات الجماعية وثباتها في مقابل الآخر. ويتضمن هذا الخطاب إنجازا يتمثل برؤية المرسل للشجاعة والفروسية، وألزم المتلقي بقبول هذه الصفات في الخطاب التوجيهي، والاستفهام هنا لم يوظفه على أنه أداة لغوية محايدة،بل جزء من استراتيجية توجيهية قصد بها التوبيخ والتقريع. وتبين أن الاستفهام بالهمزة أدى وظيفة توجيهية تداولية، وخرج لغرض فعل تقويمي ببناء خطاب قائم على التوبيخ والهجاء وتخطئة المتلقي. في تصوره المغالط لحقيقة المرسل وقومه الذين يتمتعون بمرايا قتالية حسيه ومعنوية حاول المخاطبين نفيها عنهم.

٣ـــ النداء

يُعَدّ النداء آلية توجيهية لما له من قدرة على استثارة المتلقي ودفعه إلى التفاعل والاستجابة إزاء المرسل، إذ يُسهم في توجيه الانتباه واستحضار المخاطَب داخل السياق التواصلي، كما يضطلع بدور تداولي فاعل في تهيئة المتلقي لتلقّي الرسالة وتحقيق مقصد المرسِل من خلال أساليب خطابية " التي تؤكد على جعل المرسل إليه حاضرا في سياق التواصل من خلال توجيهه وتنبيهه، وكذلك يبتغي المرسل من خلاله تذكير المرسل إليه بأنه هو المعني بالخطاب، وأن المعنى الخطابي موجهٌ إليه" (عبدالواحد،٢٠١٨، ١٩٧). وتتعدد أدوات النداء في اللغة العربية وأكثرها شيوعاً في الخطاب الشعري لا سيما أداتي: (يا) والهمزة. وأما في ما يخص شعر كعب بن مالك، فنلحظ أنه غلب عليه توظيف أداة النداء (يا)، وهي أداة تستعمل في نداء البعيد، وغلب عليها في نصوصه اقترانها بـــــ (يا عين)، كما وردت الهمزة في ندائه لوصفها أداة تنبيه واستحضار للمخاطَب، وبهذا شكل أسلوب النداء ظاهرة أسلوبية واضحة في شعر كعب بن مالك. ويتضح لنا في هذا الشاهد الشعري بقوله (ابن مالك، ١٩٩٧، ١١١):

يا عَيْنِ فَابكي بدَمْعٍ ذَرَى لِخَيْرِ الْبَرِيَّةِ وَالْمُصْطَفَى

يقوم هذا الخطاب التواصلي على فعل توجيهي صريح، حقق إنجازية قوية من خلال توظيف أداة النداء (يا) في الخطاب التوجيهي، واتبعها بفعل الأمر (فابكي) حيث وضع خطابه التواصلي بدائرة التوجيه وهدفه أن يقوم المخاطَب بفعل البكاء، وإن هذا التوجيه بالنداء لا يفهم معناه مباشرة، إنما جاء لغرض التعبير عن الحسرة والأسى، فالمنادى هنا غير عاقل وهو (عين) فمخاطبته هنا خرقاً مقصوداً في الأفعال التوجيهية، لأنه حول فعل البكاء من فعل خارجي إلى فعل ذاتي، إذ يبين لنا أن الشاعر يوجه ذاته عبر عضواً من أعضائه، فيكون التوجيه له، واستجابته في البكاء تكون وجدانية لا إلزامية للتوجيه، وينقل الإلزام

إلى التفجع والانفعال والحسرة، ويؤكد استراتيجية التوجيهية من خلال اقترن البكاء بـــ(بدمع)، إذ قيد البكاء بالدمع وحدده، وهذا يعزز الوظيفة التداولية ويبين صدق قصده ويبعده عن عبثية المجاز، فالدمع هنا لم يكن مجرد أداة، وإنما فعل وجداني انفعالي دل على صدق نيته وإخلاصه تحقق في التوجيه. ويبلغ الخطاب التوجيهي ذروته عند قوله (ذرى لخير البرية والمصطفى) إذ يسند علة البكاء لرثاء الرسول صل الله عليه وسلم وإذ يحول فعل البكاء من الفرد للجماعة، إذ يبدأ بإقناع المتلقي بوجوب البكاء والحزن ووجهته بمثل هذا المقام، وهكذا يربط بين الاستراتيجية التوجيهية والافعال التأثيرية، ليجعل البكاء فعلاً واجباً يظهر عظمة الفقد والحزن والأسى على الرسول صل الله عليه وسلم لأنه كان محور الخطاب التوجيهي، فالاستراتيجية التوجيهية مع أنها كانت غير مباشرة، إلا أنها حققت إنجازا تداوليا بالنداء وفعل الأمر، وإثارة الحزن والحسرة بهذا التوظيف، وحقق توجيها وجدانيا وانفعالا بين المخاطِب والمتلقي.

ويقول الشاعر في موضع آخر(ابن مالك، ١٩٩٧، ٤٩):

أيا عَيْنُ جُودِي ولا تَبْخُلي بدمعك حقاً ولا تنزري

نلحظ أن هذا البيت يقوم على الخطاب التوجيهي من خلال النداء، والأمر والنهي، إذ استهل الشاعر خطابه بنداء موجهه لغير العاقل بقوله (يا عين) وإن استعماله لهذا الأداة (أيا) التي تستعمل لنداء البعيد لما لها من قوة في النداء، فالهمزة ذات الجرس الانفجاري للفت الإنتباه، والياء بامتدادها الصوتي منحت طاقة تأثيرية في الفضاء الشعري مع إن الشاعر وظفها لنداء العين وهي جزء من ذاته، وانتج لنا انزياحا تداوليا، أسهم بإبراز الحزن والأسى وتكثيف الإنفعال. وهذا النداء معزز بفعل الأمر (جودي) وهو فعل توجيهي جاء للتوجيه العاطفي من دون إلزام بل جاء على الطلب الجود في البكاء استجابة لعظمة المفقود، عندما أسند فعل الجود (جودي) إلى الدمع مع أنه فعل مادي لكن جاء معنوياً بصورة استعارية جعلت للبكاء قيمة أخلاقية وعطية واجبة بمثل هذا المقام. ويعقب ذلك بالنهي عن البخل في البكاء وصب الدمع، وإن هذا التوجيه أنشأ علاقة دلالية من خلال التضاد بين فعلي (جودي ــ تبخلي) وهذه المقابلة جاءت لتعزيز فعل التوجيه، والجود له دلالة على الكثرة في البكاء و صب الدموع، بينما البخل يعني المنع عن البكاء وقلة الدموع. وإن توجيهه للعين للإكثار من الدموع، والنهي عن حجبها أو كبح البكاء، ويأتي بتكرار آخر في قافية البيت وبنهى العين عن احتقار الدمع ومنعه وهذا التوكيد تمثل بوظيفة تداولية لترسيخ جواز البكاء بل وجوبه بمثل هذا الفقد. أما قوله (بدمعك حقاً) فأدى وظيفة تداولية بتوجيه فعلي بأن الدمع يمثل تعبيراً صادقاً عن الحقيقة الأسمى وليس تصنعا أو تكلفاً، ووجهه المجاز في العلن لكن حقيقته هو لذاته وللمخاطَب معاً. ويمكن القول إن استعماله للنداء مع اختلاف الصيغة، بين (أيا) بدل(يا) لأنه غالباً ما تستعمل في الخطابات الوجدانية، فالقصد من المنادى بعيد فنياً وقريب وجدانيا، إذ منحة بعدا تداوليا، وعزز الاستراتيجية التوجيهية. فالنداء تمثل في التوجيه ولفت انتباه المخاطَب، في الفضاء النصي. والاستراتيجية التوجيهية في هذا الخطاب كانت بطريقة غير مباشرة، تقوم على تعاقب النداء والأمر والنهي، مع انزياح الأفعال التوجيهية التداولية إلى تعبيرية، تمثلت في

الحزن والحسرة وإقناع المخاطَب بوجوب البكاء لعظمة المرثي.

وفي موضع آخر يقول الشاعر(ابن مالك، ١٩٩٧، ٢٠):

أعامر عامر السَّوْءاتِ قدماً فلا فزت بالعقل ولا النساء

أأخفَرْتَ النّبيَّ وكنت قدماً إلى السوءات تجري بالعراء

ويُبرز النداء بوصفه أداة تداولية استراتيجية، إذ يحقق هدفين متزامنين: تحديد المتكلم والمخاطَب في المشهد الخطابي، ومنح الخطاب قوة تأثيرية أكبر (باديس، ٢٠٠٩، ٢٤٨ــ ٢٤٩). فبمجرد التلفظ بالنداء، يعلن المتكلم حضوره ويميز المخاطَب، ويضمن إدراكه أن المرسل يقصده مباشرة. وبهذا، يصبح استخدام ضميري (أنا) و(أنت) فعالاً، إذ يدرك المخاطَب تمام الإدراك من يُخاطبه ومن يقوم بالخطاب، مما يعزز الأثر التوجيهي والتحكمي للنص ويؤسس لسياق يسمح بتوظيف أدوات الزجر والردع بشكل أقوى. كما يتيح هذا التأكيد التداولي على هوية المتكلم والمتلقّي التحكم في العلاقات الاجتماعية والسلطوية بين الطرفين، ويخلق حالة من اليقين لدى المخاطَب بشأن الجهة المخاطِبة والهدف المرجو من الخطأ. نلحظ أن هذا الفضاء الشعري قائم على الاستراتيجية التوجيهية يتصدرها الزجر بالهمزة بقوله (أعامر) وهذه الأداة استعملت لنداء القريب، غير أن توظيفها هنا تداوليا لا يقوم فقط على التنبيه بل أراد به الزجر والردع. فالهمزة بحدتها الصوتية أحدثت صدمة في خطابه للمتلقي، ومنحت النداء قوة عالية عكست ضجر المرسل وسخطه من المتلقي. وهذا التوجيه عززه بتكرار المنادى (عامر) وهذا التكرار لا يريد به ايقاعا إنما ليؤدي وظيفة تداولية لتأكيد التوجيه؛ إذ يضع المتلقي في دائرة الاتهام، لأن الشاعر وجه له الإتهام مباشرة باسمه ليحمله مسؤولية أفعاله، فتكرار(كأن) لتكثيف المعنى وبيان موقفه من هذا الشخص. ويعقبه بالوصف (السوءات قدماً) ليؤطر الاتهام الموجه لعامر لأن السوءات من الماضي ممتدة إلى الآن فيه، وانتج دلالة تداولية دالة على رسوخ الفعل السيء. فالمرسل لم يوبخه على فعل عابر، بل يعيره بتاريخه الطويل من الانحراف، جعل خطابه ذي سلطة أخلاقية. وفي قوله (فلا بالعقل فزت ولا النساء) جاء بنفي مزدوج تفكيكا لقيمته الاجتماعية؛ لأن العقل رمز الاتزان والرجاحة في الإنسان ولفظة النساء جاءت دلالة على النور الذي لم يفز به أيضاً. إذ جرده من أية صفات أخلاقية أو عقليه ليخاطبه بأداة الزجر والردع والتقويم. ويعيد تكرار النداء بالهمزة بقوله (أأخفرت النبي) وتكراره لأداة النداء دل على إصرار المرسل على تقويم سلوك المخاطَب وتقويمه. وان السوء والضلالة سلوك مستمر عنده وليس لحظة عابرة ويعيد ربط الماضي بالحاضر بقوله (وكنت قدماً) ليؤكد أنه مازال يمشي إلى السوءات علنا وعدم الحياء والخجل عنده أو مراجعة نفسه وتقويمها بقوله (بالعراء). فالبيتان قاما على استراتيجية توجيهية متماسكة أرد بها زجر المتلقي، نهضت بالنداء (الهمزة)، يعقبها تكرار المنادى، ونفي امتلاكه أي من محاسن الاخلاق والفضائل، وتبيان ضلاله، وردعه بترك هذه الأفعال السالبة التي لم تزده الآسوءاً وقبحاً.

٤ــ التحذير

يعد التحذير من الوسائل المؤثرة في عملية التواصل بين المرسل والمتلقين إذ ينهض على تنبيه

المخاطب إلى ما ينطوي عليه الفعل من مخاطر أو عواقب غير محمودة. "فالتحذير هو عكسه نهي المتلقي عن الفعل، وتخويفه. وكلا المعنيين (التقريب والأبعاد) يندرجان ضمن معنى التعاون والتوجيه اللذين يبغي المرسل من خلالهما إصلاح حال المرسل إليه، وإبعاد الضرر عنه" (عبدالواحد، ٢٠١٨، ٢٠٠). والتحذير هو" إلزام المخاطَب من مكروه، أو ما جرى مجراه" (الأندلسي، ١٤٢٠هـ، ١٤٧٧ــ ١٤٧٨). ويعد التحذير من آليات التوجيه؛ يلجأ إليه المتكلم تنبيهاً للمخاطب لاجتناب امرٍ قد يقع به، فيقوم هذا الفعل على أساس التنبيه والأمر والاجتناب، ويتم ذلك من خلال استعمال أدوات معينة في أشكالها المباشرة، وهذا ما يعمد إلى استعمال المتكلم في بعض الخطابات. وله في هذا مآرب؛ إذ ينزه نفسه عن تهمة التلاعب بعواطف الآخرين، كما أنه يعطي خطابه قبولاً من خلال حضور الصراحة، التي تدل المخاطَب على صدق المتكلم في التوجيه، وبالتالي تكسب الثقة في خطابه (الشهري، ٢٠١٥، ٣٥٥). وبهذا يتكون التوجيه التحذيري من ثلاثة أركان وهي: المتكلم (المُحذِّر)، المخاطَب (المحذَّر)، والمحذور (المحذر منه) (الشهري، ٢٠١٥، ٣٥٥). والتحذير من وجهة نظر تداولية يمثل دعوة توجيهيه تحذيرية لاتقاء المحذور وتجنب الوقوع فيه لما فيه من ضرر نفسي ومجتمعي.

ويقول الشاعر في هذا الموضع محذراً (ابن مالك، ١٩٩٧، ٨٠):

إياكم أن تظلموا أو تناصروا على الظلم إن الظلم يردي ويهلك

لوى ببني عبس وأحياء وائل وكم من دم بالظلم أصبح يسفك

ويُعدّ أسلوب التحذير أحد الآليات الأساسية للاستراتيجية التوجيهية، إذ يحقق وظيفة إرشادية وتنظيمية لسلوك المخاطَب، ويُنجز غالبًا من باب النصح والوعي بمسؤولياته وحقوقه (ابن عقيل، (د. ت)، ٢٧٥). ويتخذ التحذير صيغًا لغوية متنوعة، كالأمر والنهي، أو الصيغ المبدوءة بالضمير المنفصل مثل "إياك" و"إياكم"، بحيث يكتسب الطابع التداولي القوي ويُبرز جدية المرسل في تأكيد ضرورة الامتناع عن الفعل المحذر منه (حسن، ١٩٧٤، ١٢٦) . ومن هذا المنظور، يصبح التحذير أداة إنجازية بحتة، لا تكتفي بتوصيل معنى الانتباه، بل تسعى إلى التأثير الفعلي في سلوك المخاطَب وإعادة توجيهه بما ينسجم مع الغرض الأخلاقي والاجتماعي للخطاب، ويكسبه فاعلية إنجازية أعلى مقارنة بالنصوص التي تخلو من هذا الأسلوب. نلحظ أن الشاعر بنى خطابه على استراتيجية توجيهيه بأسلوب تحذيري، استهل خطابه بصيغة التحذير (إياكم)، وهي أقوى صيغة للخطاب التوجيهي، لما لها دلالات تنبيهيه وتشديد على ترك الفعل المحذر منه. فتحذيره وجهه إلى مجموعة من المتلقين لا إلى فرد بذاته، مما جعل الخطاب ذي طابع اجتماعي. واقرن التحذير بفعل مضارع منفي بـــ(أن) ليوجه المتلقين عن الامتناع عن الظلم في قادم الأيام، ثم يكمل خطابه بالعطف عليه بقوله:(أو تناصروا على الظلم) ليوسع دائرة التحذير إذ نهيه لم يكن عن ممارسة أفعال الظلم فقط، بل تحذير عن مناصرة الظالم أو الاسهام في عمل ظالم. ويكشف تداوليا عن أن وعي المرسل بالفعل لا يكون مباشراً، إنما يقوم على التأييد والتواطؤ. ويقوم خطابه التواصلي من خلال جملة اخبارية (إن الظلم يردي ويهلك) وخرجت هذه الجملة التعليلية لوظيفة إقناعية، أسهمت في تحقيق القبول لدى

المتلقي وتقوية الحجة فالظلم ومناصرة الظالم تهلك صاحبها وتودي به للموت. وهذا الهلاك منح التحذير بعدا واقعياً واكسبه قوة إنجازية عالية. وينتقل من التوجيه إلى الإخبار عبر التاريخ بقوله (لو ببني عبس وأحياء وائل) وهذا الاستدعاء لقبائل عربية معروفة، يؤكد أنها وقعت تحت وطأة الهلاك والقتال، وهذا الاستدعاء جاء لوظيفة تداولية غرضها الاعتبار بالأمم السابقة والتخويف، وربط خطابه التوجيهي بوقائع سابقة. وأكد هذا المعنى بـــ (كم) الخبرية في قوله (وكم من دم بالظلم أصبح يسفك) التي أفادت كثرة الدماء التي سفكت ظلماً، فعزز هذا التمثيل أثرا في نفس المتلقي، فتحويل التحذير إلى صورة دموية محسوسة نتيجة الظلم أثبتت مقصد المرسل لردع المتلقي والاعتبار بهذه الصورة الدامية وتنفيره. وكما لحظنا أن هذا الخطاب التوجيهي وظف التحذير بوصفه فعلاً إنجازيا، هدفه الإرشاد والتوجيه وتقويم سلوك المجتمع، فصيغة (إياكم) هي وسيلة تمثلت للضغط على المخاطَب، ودل هذا التوجيه على تدخل المرسل لما حمله هذا التوجيه من منافع تعود على المجتمع برمته. كما أن هذا النص الشعري الداعي إلى التحذير من عواقب الظلم فضلاً عن فعله الذي يُعد إثماً عظيماً وقد ذكر في القرآن الكريم النهي عن فعله والتحذير منه حتى عّد من عظيم الذنوب التي تستوجب العقاب الأليم، وقال تعالى ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ (سورة الكهف، الآية: ٨٧). ويتبين بوضوح من مجمل الآيات التوجيهية التواصلية في خطاب كعب بن مالك الشعري أن الشاعر استقى مادته النصحية والإرشادية والتحذيرية والندائية والأمرية والناهية من المعاني الإسلامية والظواهر السلوكية التي أشار إليه القرآن الكريم محذرنا منها إن كانت ضارة ودعانا إلى فعلها إن كانت نافعة، وتبين أن هذه الآليات التوجيهية قد لعبت دوراً فاعلاً في إظهار القيمة التأثيرية والجمالية التي اضطلح بها النص الشعري ودلّ عليها الخطاب التداولي من خلال شكل والارسالية بين المرسل و المرسل إليه، أو المقاصد العامة التي اكتنفت ثنايا الخطاب التوجيهي.

نتائج البحث:

١ــ تبيّن أن الخطاب التواصلي التوجيهي يمتلك جملة من الآليات اللغوية التي يتعين على المرسل/ الشاعر توظيفها وفق قدرته اللغوية والاسلوبية لضمان تحقيق أثر تداولي فاعل بينه وبين المخاطَب.

٢ــ وبينت الدراسة أنه وظف الأمر بصفته أداة للإرشاد والإلزام، والنهي كان في تقييد السلوك تقويمه، والاستفهام في إثارة الإنتباه، والنداء لاستحضار المتلقي تعزيز حضوره، أما التحذير فأدى وظيفة تنبيهية أسهمت في توجيه المتلقي، بما عكس تنوع الوظائف التداولية لهذه الصيغ.

٣ــ إن تضافر هذه الأساليب أدى لبناء خطاب شعري موجه، اتسم بفاعلية تواصلية عالية، والقدرة على التأثير والاقناع، وعكس وعياً تداولياً تناسب مع السياق الديني والاجتماعي للنص.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولًا: المصادر:

١- ديوان كعب بن مالك، ١٩٩٧، تحقيق وشرح: مجيد طراد، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط١.

ثانيا: المراجع العربية والمترجمة:

١ــ أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٨م، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١.

٢ــ ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، شرح وتحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – لبنان، ط١.

٣ــ ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي، (د. ت) شرح المفصل، تحقيق: أحمد السيد سيد أحمد، مراجعة: إسماعيل عبد الجواد عبد الغني، المكتبة التوقيفية، القاهرة، (د. ط) .

٤ــ أوكان، عمر، ٢٠١١م، اللغة والخطاب، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١.

٥ــ باديس، نرجس، ٢٠٠٩م، المشيرات المقامية في اللغة العربية، مركز النشر الجامعي، منوبة.

٦ــ حبنكة الميداني، عبد الرحمن حسن، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، البلاغة العربية: أسسها وعلومها وفنونها، ج١، دار القلم، دمشق، ط١.

٧ــ الزركشي، بدر الدين، ٢٠٠٦م، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، د. ط.

٨ــ الشهري، عبد الهادي بن ظافر، ٢٠١٥م، استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، دار كنوز المعرفة، عمّان، ط٢.

٩ــ صحراوي، مسعود، ٢٠٠٥م، التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط١.

١٠ــ عباس، حسن، ١٩٧٤م، النحو الوافي، ج٤، دار المعارف، القاهرة، ط٣.

١١ــ عبد الحق، صلاح إسماعيل، ١٩٩٣م، التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط١.

١٢ــ العبد، محمد، ٢٠٠٥م، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط١.

١٣ــ فوكو، ميشال، ١٩٩٤م، المعرفة والسلطة، ترجمة: عبد العزيز العيادي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، تونس، ط١.

١٤ــ نحلة، محمود أحمد، ٢٠٠٢م، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د. ط).

ثالثًا: الدوريات (المجلات العلمية)

١ــ عبد الواحد، ميسون محمد، ٢٠١٨م، "الفاعلية التواصلية في الخطابة الدينية – الحسن البصري

أنموذجًا"، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، العدد ٧٧.

٢ــ مقبول، إدريس، ٢٠١٤م، "الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية"، مجلة كلية العلوم الإسلامية، المغرب، مج(٨)، ع (٢/١٥).

First: Sources:

1- Diwan Ka'b ibn Malik, 1997, edited and annotated by Majid Tarad, Dar Sader for Printing and Publishing, Beirut, 1st edition.

2- Second: Arabic and Translated References:

1- Abu Hayyan al-Andalusi, Muhammad ibn Yusuf, 1420 AH / 1998 CE, Irtishaf al-Dharb min Lisan al-Arab, edited by Rajab Uthman Muhammad, reviewed by Ramadan Abd al-Tawwab, Maktabat al-Khanji, Cairo, 1st edition.

2- Ibn Aqil, Baha' al-Din Abdullah ibn Aqil al-Aqili, 1429 AH / 2008 CE, Sharh Ibn Aqil 'ala Alfiyyat Ibn Malik, commentary and editing by Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, al-Maktabah al-'Asriyyah, Sidon, Lebanon, 1st edition.

2- Ibn Ya'ish, Muwaffaq al-Din Ya'ish ibn Ali, (n.d.) Sharh al-Mufassal, edited by Ahmad al-Sayyid Sayyid Ahmad, reviewed by Ismail Abd al-Jawad Abd al-Ghani, al-Maktabah al-Tawqifiyyah, Cairo, (n.d.).

3- Oukane, Omar, 2011, Language and Discourse, Vision for Publishing and Distribution, Cairo, 1st ed.

5. Badis, Narjis, 2009, Contextual Indicators in the Arabic Language, University Publishing Center, Manouba.

6. Habanka Al-Maydani, Abdul Rahman Hassan, 1416 AH / 1996 CE, Arabic Rhetoric: Its Foundations, Sciences, and Arts, Vol. 1, Dar Al-Qalam, Damascus, 1st ed.

7. Al-Zarkashi, Badr Al-Din, 2006, Al-Burhan fi Ulum Al-Qur'an (The Proof in the Sciences of the Qur'an), edited by Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Al-Maktaba Al-Asriya, Beirut, n.d.

8. Al-Shahri, Abdul Hadi bin Thafir, 2015, Discourse Strategies: A Pragmatic Linguistic Approach, Dar Kunooz Al-Ma'rifa, Amman, 2nd ed.

1. Abd al-Wahid, Maysoun Muhammad, 2018, "Communicative Effectiveness in Religious Rhetoric – Al-Hasan al-Basri as a Model," Adab al-Rafidain Journal, University of Mosul, Issue 77.

9- Sahrawi, Masoud, 2005 AD, Pragmatics among Arab scholars: A pragmatic study of the phenomenon of speech acts in the Arab linguistic heritage, Dar Al-Tali'a, Beirut, 1st edition.

Abbas, Hassan, 1974, Al-Nahw al-Wafi, Vol. 4, Dar al-Ma'arif, Cairo, 3rd ed.

11. Abd al-Haq, Salah Ismail, 1993, Linguistic Analysis at the Oxford School, Dar al-Tanweer for Printing and Publishing, Beirut, 1st ed.

12. Al-Abd, Muhammad, 2005, Text, Discourse, and Communication, Modern Academy for University Books, Cairo, 1st ed.

13. Foucault, Michel, 1994, Knowledge and Power, translated by Abd al-Aziz al-Ayyadi, University Foundation for Studies, Publishing, and Distribution, Tunis, 1st ed.

14. Nahla, Mahmoud Ahmad, 2002, New Horizons in Contemporary Linguistic Research, Dar al-Ma'rifa al-Jami'iya, Alexandria, (n.d.).

Third: Periodicals (Scientific Journals)